الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي لدى المرأة داخل مؤسسة الزاوية

بغدادي خديجة

طالبة دكتوراه أنثروبولوجيا بجامعة وهران2

ملخص الدراسة:

لا مراء في أن التصوف استطاع أن يقدم نفسه للبشرية كبنية معرفية ونزعة روحانية، وهذا ما جعل الباحثين الأنثروبولوجين يولون اهتماما كبيرا بالفكر الصوفي في شقيه الظاهر والباطن، ولأن المرأة تحوز على مكانة لها داخل هذا الفضاء الروحاني، إرتأينا أن نقف عند إشكالية الصحة الايمانية في بنية التربية الصوفية، وكيف تسهم الزوايا في وقاية المرأة-كمريدة ومتصوفة-من السلوك الانحرافي، ولقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة كما هي في الواقع، وإلى جانبه اعتمدنا على الملاحظة والمقابلة كأداتين لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة ولأجل ذلك تم اختيار ثلاثة زوايا بمدينة وهران، ذات طرق صوفية مختلفة (الزاوية التيجانية، والزاوية العلاوية، والزاوية الهبرية) لتردد النساء عليها بكثرة.

وقد أظهرت النتائج الأولية أن الصحة الإيمانية لها قدرة كبيرة في الوقاية في السلوك الانحرافي، وصناعة السلوك السوي الاجتماعي، ذلك لأن التربية الصوفية هي تربية روحية وذوقية وأخلاقية، تسهم في ترقية النفس ووقايتها من الرعونة والانقياد وراء النزوات التي تؤدي إلى تعزيز قابلية صناعة السلوك الانحرافي.

مقدمة:

لقد ثبت لعلماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع أثناء د راستهم لثقافة التربية وكيفية التعامل معها، أن مجمل السلوكات إما تتناقل من جيل إلى آخر، أو يتم توارثها، حيث أنه تبن لهم بعد دراستهم الميدانية للمجتمعات البدائية أن هذه الثقافة تنتقل عبر المرافقة، وقد أكد هذا الأمر أبو هلال في قوله: "التربية أداة للتعبير الثقافي "(أبو هلال أحمد، الأنثروبولوجيا التربوية، 1979، ص219).وبما أن الإنسان هو من أنتج هذه الثقافة، فهو يطورها حسب ديناميكية المجتمع

وتطوره، وللتطور الاجتماعي عبر مراحل الزمن فرض تكريس مجموعة من السلوكات والتشجيع على التمسك بها، ونبذ سلوكات أخرى، والدعوة إلى محاربتها، وهذه الإزالة تكون عبر منهج تربوي، يعمل على تقويم السلوك التربوي وإصلاح اعوجاجه وتعديله حسب طبيعة القدرات العقلية والجسمية، ونموها لدى الفرد، ثم إن الزاوية واحدة من تلك الأنظمة التي أخذت على عاتقها مسؤولية الأخلقة والتربية الروحية، لذا دأب شيوخ الطرق الصوفية بتوجيه المريد إلى الكمال الإنساني، الذي يهدي إليه الدين الإسلامي بالمتابعة في مقام الأفعال كما هو مطلوب في الشريعة أو مقام الإسلام مصداقا لقوله تعالى: { قلْ إنْ كنْتمْ تحبّون اللّه فاتّبعوني يحْببْكم اللّه ويغْفرْ لكمْ ذنوبكمْ واللّه غفورٌ رحيمٌ} (سورة آل عمران، الآية: 31)، كما عمدوا إلى رسم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي، فحددوا أهدافا خاصة للتربية وضبط سلوك المريد وتعديله، ومنازل يسير فيها السالك في دربهم.

تساؤلات الدراسة: كيف تساهم الزوايا في دعم الصحة الايمانية لدى المرأة كمريدة وصوفية؟ وماهي قدرة الصحة الايمانية على الوقاية من السلوك الانحرافي؟

أهمية البحث والحاجة إليه: يفيد البحث عموم الباحثين والدارسين الأنثروبولوجيين والمشتغلين في المؤسسات الفنية والثقافية ذات العلاقة بالفكر الصوفي من حيث تقديمه دراسة اثنوغرافية لمريدات الزوايا والطرق الصوفية.

هدف البحث: يهدف البحث إلى الكشف عن مضامين التربية الروحية في بنية الصوفية من خلال طقوس الطريقة الهبرية والتيجانية والعلوية بمدينة وهران.

-حدود الدراسة:

الحد الزماني: يتمثل الحد الزماني في هذا البحث جانفي 2017

الحد المكاني: الزاوية الهبرية والزاوية التيجانية والزاوية العلاوية بمدينة وهران.

الحد البشري: فقيرات الزوايا الثلاث

منهجية الدراسة: اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون)، وذلك لملائمته أهداف البحث.

أداة الدراسة:

المقابلة: تعتبر المقابلة أداة البحث الأساسية والرئيسة، حيث تستخدم لدراسة سلوك فرد أو مجموعة من الأفراد قصد الحصول على استجابة لموقف معين أو لأسئلة معينة وملاحظة النتائج المحسوسة للتفاعل الجماعي أو الاجتماعي

الملاحظة: سواء كانت الملاحظة البسيطة أو الملاحظة بالمشاركة فلا يمكن انكار " أنها أداة لجمع المعطيات يتم بناؤها من أجل ملاحظة وسط معطى، لذلك من الصعب جدا أن نتصور دراسة جادة للسلوك الإنساني، لا تلعب الملاحظة دورا هاما فيها ولقد قامت الباحثة بتتبع المريدين اثناء تأديتهم لطقس الحضرة بالزاوية الهبرية ومراقبتهم عن كثب وتسجيل كل الملاحظات المتعلقة بطريقة ذكرهم.

مدخل لفهم الصحة الايمانية:

لاشك أن العقيدة الإسلامية سعت بشكل كبير في ترسيخ الايمان، ذلك أن راحة النفس لا تتأتى إلا بالإيمان بالله جل وعز، وإذا علم هذا، فليعلم أن أساس قبول العمل عند الله هو الإيمان؛ لقوله تعالى: {فمنْ يعْملْ من الصالحات وهو مؤْمنٌ فلا كفْران لسعْيه وإنّا له كاتبون} ، فلا غرو إذن أن الايمان يشكل اللبنة الأساسية في بناء شخصية مثالية، وعنها ينبثق الشعور والتطور ونمط السلوك، فالإيمان ليس مجرد معرفة ثقافية، إنما هو القاعدة الأساسية التي يقام عليها البناء الشخصي، ولذلك حرص الاسلام على تربية الانسان تربية إيمانية صحيحة، ليصنع منه الانسان الرسالي الذي تعيش الرسالة في أعماقه، ويمارس دوره في الحياة وفق خط تصاعدي لا اهتزاز فيه. فهو يريد الإنسان أن يكون سويا مستقيما مع نفسه ومع غيره، وهذا ما لا يتحقق إلا بالتوافر على الرصيد الإيماني الضخم الذي يمنح الانسان قوة الثبات وقدرة الصمود.

والايمان بالمنظور الإسلامي يتجاوز الأبعاد والحقائق الغيبية المحصورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم "الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"، ولا يقتصر معنى الإيمان على الجزم والتصديق فقط، بل لابد أن يصاحب ذلك ظهور آثار هذا الجزم على العمل، فالإيمان بالله يتجلى من خلال الشعور بمراقبته تعالى، وبالتالي الامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه، وتؤمن بملائكة الله أي تعرف أدوارهم، وتتشبه بأخلاق الأنبياء والمرسلين

والاقتداء بهم والاعتبار من حياتهم، فادعاء الإسلام ممكن لكن ليس ممكنا مع الايمان، ذلك أن الايمان باعث على الاستقامة وموجب لها لقوله تعالى: "إنّ الّذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ اسْتقاموا تتنزّل عليْهم الْملائكة ألّا تخافوا ولا تحْزنوا وأبْشروا بالْجنّة الّتي كنتمْ توعدون". وبهذا المعنى يصبح الايمان ترجمة حقيقية للنفس الإنسانية من خلال تفاعله مع الآخر داخل مجموعة من الأفراد، حيث تصبح الأفعال والأقوال مرآة تعكس صدق سريرة صاحبها وقوته الايمانية، إذ لامعنى للحالة النفسية الايمانية إذا لم تتحول إلى سلوك تفاعلي يومي يظهر من خلال التعاملات اليومية مع الناس، ويكون فردا فعالا بناء ويؤثر إيجابيا في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وجملة القول إن جانب الصحة الايمانية والأخلاق يمثلان القنطرة التي تربط باب صلاح الفرد بباب صلاح المجتمع لذلك جاء على لسان المحاسبي قوله: «إذا صلح العبد صلح الله بصلاحه سواه، وإذا فسد العبد أفسد الله بفساده سواه"

الصحة الايمانية والتربية الروحية في بنية التربية الصوفية:

ذكرنا سابقا أن الصحة الإيمانية هي صمام أمان للمجتمع ضد انتشار الفوضى الأخلاقية وانتشار الصراعات وأشكال الانحراف السلوكي وغيرها. ..، ومن هنا فقد اهتمت الزاوية بالتربية الصوفية الإسلامية لكونها حصانة قيمية وسلوكية ضد الانحراف بكل أشكاله، كما سعت إلى إعادة الاعتبار للقيم الروحية وفاعليتها في تنظيم الحياة الاجتماعية، وإعادة صياغة السلوك الاجتماعي وفقا لقيم الأخلاق والذوقية والجمالية، والتفاهم الاجتماعي "والصوفي مثل أي مسلم جيد ملزم باحترام الشريعة واتباعها، من خلال تجاوز المعنى الحرفي من أجل إعطاء الأولوية للروح"، ومن الإجحاف أن نغض الطرف عن ذلك الدور الكبير الذي تلعبه مؤسسة الزاوية في تشكيل البنية القاعدية لسلوك المريدات من خلال التربية الصوفية، التي تعد بمثابة درع وقاية من الانحراف أو الزيغ عن السلوك السوي القويم، والتي تتمظهر في ممارسات اجتماعية تجعل أصحابها مثلا يحتذى حذوه من قبل الآخر، لذلك دأب شيوخ الصوفية على العناية المركزة على الروح الإنسانية كونها المحطة الأولى في الارتقاء الصوفي عامة، بل لا يمكن التدرج في المقامات الروحية للتصوف بدون المرور أولا على هذه المحطة، وضمن هذا الإطار جعل شيوخ الزوايا اهتمامهم خاصة تقوية الصحة الإيمانية لدى مريديهم

باعتبارها تقي الإنسان من الأمراض النفسية التي شاعت في المجتمعات البشرية، كما تقيه من الصراعات الداخلية وما يصاحبها من قلق وتوتر وخوف وملل واكتئاب ووساوس، وبالتالي تصنع منه نموذجا بشريا صاغرا متحطما مهشما خاملا منهزما غير فاعل في أسرته ومجتمعه بدل انتاج فرد مصلح داعية بأفعاله وأخلاقه وأقواله، ولأن الإيمان يستوجب الاستقامة -كما ذكرنا سابقا - فإن هذه الاستقامة تقود الفرد إلى المعرفة الحقيقية بالله "والمعرفة في التربية الصوفية شجرة غرسها الله في قلوب الموحدين ووكلهم بتربيتها، فعلى قدر التربية ينالون من ثمرتها، فكلما عظمت الشجرة وسقت غلظت كان أقوى لفروعها وأزكى لثمرتها وألذ لطعمها" .

ولأن للمرأة مكانة في هذا الفضاء الروحاني، فإن الزاوية كمؤسسة دينية تربوية أخذت على عاتقها مسألة الصحة الإيمانية وتقويتها لدى المرأة كصوفية ومريدة، من خلال إعادة صياغة الوجدان الصوفي، بمفاهيم إيمانية روحية عميقة كالحب الإلهي ومخالفة النفس والهوى، حتى ترقى الانفس إلى المعراج الروحي وتتخلق عمليا بالأخلاق السامية المثالية من خلال التعالي عن الدونيات والماديات والملذات والصراعات التي تذكيها المصالح والأنانية والمادة درءا لكل مصانع الانحراف ومسبباته، ومن ثمة بلوغ حالة الرضى النفسي والحياة الطيبة، كما قال تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة " .

فالشيخ صاحب البصيرة يدرك جليا من خلال متابعه الرصينة والمركزة على أدائه إن كان قلبه معلقا بالباطل والشهوات، أو وجد منه ما ينافي تعاليم الدين الإسلامي، أو انشغل قلبه عن دينه فيأمره بالخلوة وبالذكر والصوم "وبالخلوة ينقطع عن المبطلين والذين هم في عداد الموتى، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه وبتقليل الطعام يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة، فيرجع العقل إلى التعلق بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما لاحظنا من خلال بعض حلقات الذكر التي كنا نحضرها بالزاوية أن المقدمة الزاوية لا تنفك تذكر المريدات بضرورة الاكتفاء بالحد الأدنى من المخالطة الاجتماعية خاصة إذا كان الوسط الذي تعيش فيه المريدة تشوبه شائبات أخلاقية، فلا بد حينئذ من اللجوء إلى العزلة "على الصوفي أن يعتزل الخلق الذين لا خير فيهم ويترك فعلهم ". ولأن العديد من المريدات هن فقيرات ماديا بالإضافة إلى وجود

مريدات لا عائل لهن، فان الصناعة السلوك الصوفي تتجه هذه المرة إلى التذكير بأهمية الصبر وهو أحد الأحوال الصوفية الراقية التي لا تعترف بسلطة المادة ولا بغبن العيش وشظفه وقلة الرزق وتدهور الحالة المعيشية، فالجوع عند الصوفي هو شبع الروح وملء القلب والروح ايمانا افضل من ملء البطون طعاما على حد تعبير إحدى الفقيرات اللواتي قابلناهن في الزاوية، وبالمقابل فالتواكل والطمع فيما يملك الغير ليست من صفات الصوفي ولا من شيمه، فقلة الرزق ليست مدعاة للتقاعس عن طلب العمل والسعي في الحصول عليه، لذلك لاحظنا حرص المقدمات على ترهيب الفقيرات من انتهاج أسهل الطرق من منظورهن في الحصول على المال الحرام كالسرقة أو التسول أو الدعارة وغيرها من الأعمال غير الشرعية التي تغري أصاحبها بسرعة الحصول على المال، فالزاوية العلوية مثلا من أكثر الزوايا حرصا على تربية الفقيرات وحتى أولادهن، حيث يقول خالد بن تونس وهو المرشد الروحي لجماعة الإخوان منذ عام 1975 بالزاوية العلوية" نحن نحاول أن نزرع الأمل، بذرة أمل في فتياتنا الصغيرات والأولاد الصغار. علينا أن نضمن لديهم ما لا يقل عن أمله في أن ذريتهم لن يعيش في عالم من الدم، عالم من العنف وسوء الفهم والهيمنة"

ومن المظاهر الاجتماعية المعبرة عن الصحة الايمانية لدى الصوفية، التضامن الاجتماعي الذي لمسناه منذ أول مرة دخلنا فيها الزاوية وحضرنا طقوس تصوفهم، والذي يتجلى بداية من شكل العلاقة التي تربط الفقيرات بالمقدمة من نصح وارشاد وموعظة وتعليم وإغاثة، وكذلك بين الفقيرات أنفسهن اللواتي لا تنفكن تتصافحن فور دخولهن الزاوية بعد كل مديح وبعد كل طقس وحتى عند افتراقهن من الزاوية، ضف إلى ذلك حالة التكافل الاجتماعي والأخوة والتي تتمثل في جمع المال من أجل مساعدة من هي مقبلة على تزويج أحد أولادها ولا تملك المال لذلك أو لمساعدة إحدى المريدات التي مات زوجها، أو اليتيمة منهن... بمعنى أعم هناك التفاف مادي ومعنوي حول بعضهن البعض، يساعدن بعضهن ماديا في حالة العوز، ويغثن بعضهن في الضراء، ويشاركن بعضهن في السراء وهو أمر ليس بالغريب على الزاوية، فلطالما كانت الزاوية مركزا اجتماعيا لمساعدة المحتاجين والمحرومين والسابلة والنساء والأرامل وغيرهم، فتنمية حاسة التضامن الاجتماعي والتعاطف المتبادل مع الأفراد والجماعات جعل العواطف والغايات الفردية في

توافق مستمر مع ما يخدم المصلحة العامة، وتأسيسا على ما سبق يتضح جليا كيف أن التربية الصوفية تسعى بالمريدات إلى أعلى درجات الصحة الايمانية روحيا ووجدانيا وسلوكيا واجتماعيا لنفعهن بها أولا ولأسرهم ثانيا ولمجتمعهم وأمتهم أخيرا، ولا غرو أن حافظ إبراهيم كان يدرك أن تربية المرأة هي أساس بناء مجتمع صالح حيث قال:

من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

مما لاشك فيه ان التجربة الصوفية بكل معالمها من الأساليب التي تعد ناجحة في شفاء أمراض النفس وإصلاح عيوبها ظاهرا وباطنا "لهذا يعتمد المتصوفة في تأديبهم للمريد على آداب باطنية وآداب ظاهرية الباطنية ما تعلق بالنفس والظاهرية فهي آداب السلوك كالجلوس والحديث وغيرها من السلوكات "، وفي هذا الشأن يقول أبو الحسن الشاذلي: "أول منزل يطأه المحب للترقي منه إلى العلاء هو النفس، فاذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح...فاذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا إلى تمام نهايته وهذه طريق العامة، وأما طريق الخاصة فهي طريق مسلوك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها .."، وبما أن النفس أمارة بالسوء ستجد شيوخ التصوف حريصون كل الحرص على تنبيه السالك من اتباع الهوى والانسياق نحو رغبات، فيعلمونه كيفية كبح جماعها عن طريق ممارسة الأحكام الشرعية والصلاة والذكر والاستغفار. ... يقول أبو القاسم اللجائي: هم واقعون تحت تأثير الاستدراج أي أنه يأخذهم قليلا وهم لا يشعرون، فمن حسن إسلام المرء ألا يعتقد أن في الناس أشر منه وإن كان عاصيا وأنت مطيع، فإن الأمر يحدث بعد الأمر سر الله في خلق غامض، الشقاوة والسعادة خافيتان ومقام الله على قلب الانسان بين أصبعيه يغيره كيفما شاء، فإن كان مقام الله عز وجل أهم إليك فذلك هو المرغوب والمطلوب".

إن مبدأ الصوفية يتمحور على التضرع والذكر والتكرار اللامتناهي لاسم الله حتى لتجد أي شيخ يحذر مريديه من ترك الذكر، يقول أبو الحسن الشاذلي "من علامات النفاق ثقل الذكر على اللسان". وكما أن للمذاكرة دور كبير في تقوية

علاقة بين الشيخ والمريد وتجعل هذا الأخير أكثر استفادة من خبرة شيخه، فسعي الشيخ لتربية المريد هو سعي يستهدف تكوين ظروف نفسية وتربوية ملائمة للوصول إلى قناعة ايمانية متطلعة للآخرة زاهدة في الدنيا وتبحث عن سعادتها من خلال انصرافها عن كل ما يصرفها ويشغلها عن معرفة الله، ولاسبيل إلى الترقي إلا هذه التربية السلوكية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالإرادة البشرية الذاتية فمجاهدة النفس لابد لها من ايمان قوي والذي يفضي إلى الترقي والوصول إلى معرفة الله، يقول ابن عربي: والسير على طريق العرفان يدفع المريد لقطع منازل الصبر والفقر والانكسار والذلة والعبودية. ..وفق نهج سلوكي وأخلاقي يغترف من تصور روحي للوجود ويستمد الوجود عمقه من الكنز الخفي الذي هو ينبوع للحب....وبالدخول في مقام العبودية يكتسي العارف صفات تفتح امامه مقام القرب الإلهي"

فقد لمسنا من خلال زيارتنا الميدانية للزوايا أن الشيخ يتخذ منهجا تربويا قد نجده في جميع الزوايا تتفق عليه ويعتمد بالأساس على الورد والاذكار والممارسات الطقوسية، ويهدف إلى صقل النفس الإنسانية وتهذيب ميولها وتقويم رغباتها وتربية الفقيرات تربية ذوقية وجدانية تمس القلب والروح، ومنحهم علما عمليا يرتبط بالمجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات قصد التقرب من الله، وهي حالة يشرق فيها القبس النوراني على القلب حتى تهتدي باليقين.

-1التربية عن طريق الأذكار والأوراد: عرفنا من خلال ما سابق كيف أن الذكر والسماع هما أهم محورين أساسيين في العبادة لدى الزوايا الثلاث التي زرناها، وذلك لاحتوائهما على الوظيفة والتي تؤدى جماعيا، وللذكر أهمية كبيرة في توثيق الصلة بين المريدات أثناء الترديد الجماعي للأوراد والتي يفضل فيها الحضور جماعي، إن لم نقل إجباريا حين تكون الممارسة فردية، وحين سألنا مقدمة الزاوية الهبرية (لالة فطيمة ابنة الهبري) عن أهمية الذكر قالت لنا: "إن الذكر صمام أمان للفقيرة حيث يحول بينها وبين كل مفسدة للقلب والسلوك، كما أنها حصن منيع ضد النميمة والغيبة، والمعروف أن المرأة كثيرة الكلام وسريعة الانجراف وراء الزلل، لذا يجب تسخير هذه الملكة في الذكر بدل اللغو في الكلام واللغط بالإضافة إلى كونه أي الذكر يسبح بهن في ملكوت السماء فيتحرك اللسان والفكر معا وبهما تتحرك النفس شوقا لمعرفة الله والتقرب إليه والسعي إلى الترقي والتكشف والبصيرة "إن هذه الطريقة تؤدي الى معرفة الأشياء والإله دون وسيط

واختراق الأسرار وإزاحة الستار عن الوصول الى وجه متعال لمواجهة الحقيقة وجها لوجه او كما يسميه الصوفية (الالهام) "والالهام عندهم هو بديل الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه لا وحي بعد رسول الله والالهام الصوفي يأتي دون اعداد مسبق له ".ويمكن الخلوص إلى أن الذكر كما سبق وأن ذكرنا، هو فسحة للتطهير النفسي من مشاكل الحياة وتجاوز الضغوطات والقلق، لأنها تعلم الصبر والاتزان النفسي والانضباط.

ب/ **التربية بالعبادات**: الصلاة صلة العبد بربه وهي النافذة المفتوحة المنكشفة للعبد يسال الله فيها ربه ما يريد، لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه لحظة السجود لذا ترى الشيوخ الطريقة يحثون مريديهم على ضرورة الالتزام بآداب خشوع القلب وإظهار الذل والاذعان والاستسلام وحسن الظن بالله واليقين بالإجابة، وضرورة الحفاظ على أوقاتها المفروضة والمحافظة على صلاة الجماعة ما استطاع الانسان إلى ذلك سبيل، لأن الصلاة الصحيحة أول طريق إلى الترقي المرغوب من قبل السالك وأول شروط الدخول في الطريقة، فلا يسمى صوفيا من اكتفى بالذكر دون الصلاة. وعليه فالعبادات لها دورها العظيم في الإصلاح والتزكية حينما تكون شعائر وليس طقوس آلية وان لم تؤدى هذه العبادات بخشوع وتقوى فإنها ستكون مجرد طقس شكلي فقط

ج/ **التربية عن طريق صلاة الفاتح**: ويقصد بصلاة الفاتح الصلاة على النبي محمد صلى الله وعليه وسلم حيث يؤكد شيخ الزاوية ان للصلاة على النبي فضل عظيم لنيل حظ من الفضل الإلهي لذا فهو يعلم مريديه ويبين لهم الإكثار من الصلاة على النبي بعد أداء كل فرض ونافلة والفضل يؤتيه الله لمن يشاء وهو على كل شيء قدير وهذا ما لمسناه حين كنا نحضر أسبوعيا مساء يوم الاثنين بالزاوية التيجانية حيث لاحظنا أن الفقيرات يتحلقن حول الشيخة (لالة بدرة القلعي) ويرددن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تناغم وانسجام وتناسق وانتظام صوتي وايقاع مضبوط.

د/ **التربية بالتحلي والتخلي**: إن الصحة الإيمانية لها قدرة كبيرة على انتاج الشعور بمراقبة الله عز وجل وهذا ما يدفع المؤمن إلى الإعراض عن كل ما نهانا عنه سبحانه والمسارعة إلى فعل كل ما يعود بالنفع والايجابية على الفرد والمجتمع،

لذلك يظهر سلوك الفرد الصوفي سويا وسهل الضبط الاجتماعي والصحة الايمانية تقتضي ميكانزيم آخر لتقوية هذا الايمان، وهو التربية بالتحلي والتخلي وهي من الوسائل التربوية الإسلامية الفريدة في نوعها والتي تعمل على تزكية النفس وإعادة ترتيبها وتهذيبها وتقويمها ويقصد بالتحلي أن تتحلى النفس البشرية بالأوصاف المحمودة كبديل للأوصاف المذمومة التي اعتادت عليها، وهو نوع من العلاج بالاجتهاد ولا بد فيه من التدرج، والتخلي كما ذكرنا سابقا هو الابتعاد عن كل ما يفسد العقل والقلب من رذائل ومظاهر للشر والتعلق بالدنيا والجري وراء الملذات والمشتهيات، أما التحلي فهو الاتصاف بالأخلاق الفاضلة بل والفضائل بصفة عامة كحب الخير للغير وخدمة الناس وانصاف المظلوم وإغاثة الملهوف وإعانة المعوز وإطعام الجائع، وصون الأمانة وغيرها. والتخلص من كل أمراض القلوب، وقد أورد أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين "أن التصوف هو طريق المجاهدة المضادة للشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد"، ولكي تجعل منها نموذجا إنسانيا يحتذى حذوه في المجتمع الذي يعيش فيه من جهة وتبعدها عن عالم الانحراف والانجراف وراء رغبات النفس وما هوت من جهة أخرى، "إن الانسان خلق بنفس عامرة بالأهواء والغرائز التي اتباعها يجر إلى الخطيئة وسيادة الجرم والمعصية" وتهيئها لرسالتها الانبل وهي تربية أولادها بعيدا عن التجاذبات المادية والاجتماعية، إعادة ادماجها في المجتمع في حالة زيغ أو زلل عن طريق الندم والتوبة لتدارك الزلل وإعادة تصحيح المسار الأخلاقي والاجتماعي وهو أسلوب نافع تنتهجه الصوفية كحل أسرع لقطع الصلة مع الانحراف السلوكي والعودة العاجلة إلى الطريق الصحيح، وهذا له فاعلية كبيرة في إعادة نسج شبكة علاقات اجتماعية جيدة.

خاتمة: إن التربية الروحية له قدرة وقائية وعلاجية ذوقا ووجدانا وسلوكا ومقاما وحالا وهو منهج سليم وفاعل لصناعة السلوك الاجتماعي المرغوب كما انها وسيلة لترقية نفس المريدات والحصول على الوعي اللامتناهي في الكمال والذي يحدو بحاملاته الى الابتعاد بعيدا عن ترف الدنيا ومغرياتها الزائفة وماديتها الزائلة والانكباب على المكاسب المادية السريعة، والجري وراء المصالح الذاتية، والتي تعزز قابلية صناعة السلوك الانحرافي وفي المقابل تعمل التربية الصوفية على إعادة شحن النفس بتقوى الله وبالخصال الحميدة واحترام القيم والمبادئ

الدينية، وكل هذا يضمن صناعة مجتمع تتساوق فيه العلاقات والمصالح والمنفعة فلا مكان للأنانية ولا للمصالح الشخصية ولا للتباغض ولا للعداوات ولا للصراعات بل تضمن حالة من الامن والاستقرار والتوازن والتكافل الاجتماعي.

-قائمة المصادر والمراجع:

-الشرنوبي، عبدالمجيد،نائية السلوك الى ملك الملوك، دار الكتاب العلمية،بيروت، 2007.

-أبو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ج3، دار المعارف، بيروت، 1988.

-احمد عبد الكريم السايح، الحكيم الترمذي ونظريته في السلوك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

-الامام النووي، الأربعين النووية، دار النشر والتوزيع الإسلامية،القاهرة، د ط، 1999

-الحكيم الترمذي، المسائل المكنونة، دار التراث العربي،القاهرة، 1980

-الغالي ابن لباد، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2008-2009

-انجرس موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية. دار القصبة،دت، 2006

-تومي حدة، المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران، 2013/2012

-حسن الشرقاوي،الأخلاق الإسلامية، القاهرة، مؤسسة مختار للتوزيع والنشر، د.ت.

-رباضة، نزهة، الأنوثة في فكر ابن عربي، دار الساقي، لبنان، ط1، 2008

-عبد الباري محمد داوود،المنهج التربوي التعليمي والعلمي عند الصوفية، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 2002

-Cheikh Khaled Bentounès «L'islam n'est pas un catalogue de prescriptions» journal El Watan,3aout2017

-عبد الحكيم خليل سيد أحمد، الدلالات اللغوية في الثقافة الصوفية، مجلة حوليات التراث، العدد 14-2014

Revue Rose-Croix n° 223 – 2007